الشريف المرتضى

سيرته وأثره على الحركة العلمية في بغداد

م. رشا عيسى فارس*

● **المقدمة :**

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥-٤٣٦هـ) عالم ومتكلم وشاعر وأديب يكاد يجمع مؤلفو عصره على الإشادة بذكره وما كان يتمتع به من جلال الشخصية وتعدد المواهب والشهرة وعلو المكانة بين علماء وأدباء عصره وقد نص كثير منهم على انه كان من أئمة المسلمين في الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ومن ابرز من نبغ في علوم العربية والنقد والأدب ورواية الشعر وإخبار العرب وذكروا العديد من مؤلفاته في هذه المجالات كما نوهوا بديوان شعره وبما احتوى من نتاج ثرية.

● **المبحث الأول: ـ سيرته:**

هو الشريف المرتضى ذو الحسبين ـ أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمّد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام عليّ السجّاد بن الإمام الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام)[١].

يعرف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى وذي المجدين ويكنى بأبي القاسم [٢].

ولد في بغداد سنة (٣٥٥ هـ/٩٦٥م) في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد «الكرخ» الواقعة بين نهر الصراة غربا، ونهر كرخايا شرقا ومحلة الكرخ جنوبا[٣] في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي،من اسرة عريقة النسب سامية الشرف تتمتع بمنزلة اجتماعية وأدبية عالية[٤].

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

وكان أبوه عالماً وزعيم الطالبيين ونقيبهم [٥] وكان ابوه سيدا عظيماً مطاعا جليل القدر، مسموع الرأي رمزا للخير وكانت هيبته كما يقول ابن تغري بردي (اشد من هيبة الحكماء) [٦]

وكان معظما لدى دار الخلافة البويهية لانه كان سفيرا للخير بينها وبين دار الخلافة العباسية حتى لقبه بهاء الدولة البويهية (ت، ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) بالطاهر الأوحد ذي المناقب [٧] لجمعه مناقب شتى ومزايا رفيعة جمة، فهو فضلا عن كونه علوي النسب، هاشمي الأرومة انحدر من تلك السلسلة الطاهرة فإنه كان نقيب الطالبيين وعالمهم وزعيمهم، جمع إلى رئاسة الدين و زعامة الدنيا لعلو همته وسماحة نفسه، وعظيم هيبته وجليل بركته. وإلى ذلك أشار ابن مهنا في « عمدة الطالب» بنقله عن الشيخ أبي الحسن العمري النسابة « أن الشريف أبا أحمد أجل من وضع على رأسه الطيلسان وجر خلفه رمحا (أراد: أجل من جمع بينهما) وكان قوي المنة شديد العصبة، يتلاعب بالدول، ويتجرأ على الأمور»[٨]

وأمه فاطمة بنت الحسن (أو الحسين) بن أحمد بن الحسن بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥م)[٩].

كان جده المرتضى الثاني لأمه الملقب بالنصر الكبير (ت، ٣٠٤هـ/ ٩١٦م) ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان [١٠].

أما أخوه الشريف الرضي، فيقول النجاشي: مات لخمسٍ بَقَيْنَ من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤م) وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتولَّيتُ غسله ومعي الشريف أبو يعلي محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز[١١]. قيل ونُقل جثمانه بعد ذلك من بغداد إلى كربلاء ليُدفن بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام[١٢].

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن ميثم (المتوفى ٦٧٩ هـ/ ١٢٨٠مـ). إذ يقول في شرحه لنهج البلاغة: دفن السيد الرضي مع أخيه المرتضى إلى جوار جده الحسين عليه السلام[١٣].

ولكن يستبعد القزويني نقل الجثمان إلى كربلاء، ويقول بأن هذا القول «على شهرته لا ينهض بقيام الدليل على نقله» [١٤].

وذلك بسبب تضارب الروايات التاريخية في ذلك إضافة إلى عدم وجود موضع لقبره في مدينة كربلاء، وإنما هناك مزار له في مدينة الكاظمية[١٥] .

اما ولده فقد جاء في كتاب «أدب المرتضى»[١٦]. أنجب المرتضى ولدا كناه «أبا محمد» وكان حريصا على تربيته تربية عالية ولكنه فيما ظهر لي (كذا يقول مؤلف الكتاب) لم يكن على شيء من العلم لأنه لم يذكر في تراجم أعلام الإمامية.

نشأ الشريف المرتضى في ظل هذه الأسرة الدينية النبيلة ذات الوجاهة العالية والشرف الكبير فكان المرتضى وارثا للزعامة العلوية، كما تؤكد قصائد شعره المبكرة[١٧].

وقد حرصت أسرته على تعليمه منذ نعومة إظفاره فقد أخذته أمه إلى فقيه الإمامية محمد بن نعمان المعروف بالمفيد (ت، ٤١٣هـ/١٠٢٢م) ليتعلم الفقه، ومن البعيد أنْ يكون قد درس الفقه قبل أن يتلقَ مقداراً من العلوم الأدبية والتي تُعد مقدمة

للفقــه. وتُراثــه العلمــي دليل صادق عــلى أنّه بذل قصــارى جهــده منذ الصغر في طلــب العلم بحيث أصبح مرجعــاً في الفقه والكلام في ســن الســابعة والعشريــن وكان يرجــع إليــه بعــد ذلــك الإمامية وغيرهم من البلاد الإســلامية المختلفة عبر الرسائل والكتــب[١٨].ثم يتعلــم الأدب والبلاغــة وهو صبي لم يتجاور الخامســة عشرة مــن العمر على يد عبد العزيــز بن عمر أو ابن محمــد المعروف بابن نباته الســعدي (ت، ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) وكان الســعدي هذا كما يقول الثعالبي (من فحول شــعراء العصر وآحادهم وملكوا رق المعاني)[١٩].

وتشــير عبارات المؤرخين وتعليقاتهــم ان المرتضى كان ذكيــا وطموحــا، مثابرا للعلم مؤثرا لمجالســة العلماء منذ حداثة سنه[٢٠].

لقد عين والد المرتضى نقيبا للطالبين وفق مرسوم خاص صادر من الخليفة سنة ٣٨٠/ ٩٩٠م وعين المرتضى واخوه الرضي نائبين عن ابيهما [٢١]. وقد توثقــت علاقة المرتضى بعدد من ســلاطين وامراء بنــي بويه وفق ماتؤكد مجموعة كبيرة من قصائد ديوانــه[٢٢].

كان الشريــف المرتــضى ربــع القامــة نحيــف الجســم أبيض اللون حســن الصورة.

اشــتهر بالبذل والســخاء والإغضاء من الحساد والأعــداء، وقد منــي بكثير من هــؤلاء، وديوانه طافــح بالشــكوى منهــم والايصــاء بالتجــاوز عنهم والكف عن مقارعتهم[٢٣].

توفى المرتضى لخمس بقين من شــهر ربيع الأول «ســنة ٤٣٦ /١٠٤٤م» ببغــداد، وصــلى عليه ابنــه في داره، ودفن فيها عشــية ذلك اليوم، ثم نقل بعــد ذلك إلى كربلاء ودفــن بجوار أجداده عنــد قبر أبيه وأخيه الــرضي وجده إبراهيم[٢٤]. ابن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

دَرَس هــو وأخوه الشريف الــرضي اللّغة والمبادئ عند ابــن نباتــه الســعدي والفقه والأصــول لدى الشــيخ المفيد وتتلمذ على يد أبي عبد الله المرزباني في الشعر والأدب ويروي عنه أكثر رواياته في كتاب الأمــالي ويــروي كذلك فيــه عن أبي القاســم عبيد اللــه بن عثمان بن يحيى بن جنيقــا الدقّاق، وأبي الحسن علي بن محمد الكاتب، وله أساتذة وشيوخ آخرون في الحديث والفقه والعلوم الأخرى[٢٥].

وكان ممن يحضر مجالس درسه وحلقاته العلمية أبو العلاء المعري، فقد ســكن في بغداد، وعندما عاد من العراق إلى المعرة ســنة (٤٠٠ هــ) سألوه كيف وجدت السيد المرتضى؟ فقال :

لو جئته لرأيت الناس في رجل
والدهر في ساعة والأرض في دار [٢٦].

● **المبحث الثاني : مكانته العلمية :**

أقوال العلماء فيه :

لقــد أطــراه كلّ مــن ترجم لــه وتعرّض لســيرته بأجمل العبارات وأجزلها، وأحكم الجمل وأفضلها، مفصحــةً عن أدبه وشــعره وفضائله، اخترنا منها جُملاً يسيرة، وهي:

يقول الثعالبي (ت ٤٢٩ هــ/ ١٠٣٧م)

ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتــده الشريف ومفخره المنيف، بأدبٍ ظاهــر، وفضل باهــر، وحظٍّ من جميع المحاســن وافر، ثمّ هو أشــعر الطالبيين من مضى منهم ومن

غبَر، على كثرة شعرائهم المفلقين: كالحِمّاني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم، ولو قلت: إنّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القِدح، الممتنع عن القَدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معانٍ يقرب جناها، ويبعد مداها[٢٧].

ويقول الباخرزي (ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م):

وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذُكاءٍ: ما أنورك! ولخُضَارةٍ[٢٨]. ما أغزرك! وله شعر إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسب رقّة الهواء إلى نسيبه، وفاز بالقِدْحِ المعلّى في نصيبه، حتّى إذا أنشد الراوي غزليّاته بين يدي العِزهاة[٢٩]، لقال له من العزّ: هات، وإذا وصف فكلامه في الأوصاف أحسنُ من الوصائف والوصّاف، وإن مدح تحيّرت فيه الأوهام بين مادحٍ وممدوحٍ، له بين المتراهنين في الحلبتين سبق سابق مَروح، وإن نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خرزات من العقد تنفضُّ، وقطرات من المزن ترفضّ، ولعمري إنّ بغداد قد أنجبت به فبوّأتهُ ظِلالها، وأرضعته زُلالها، وأنشقته شمالها، ووردَ شعره دجلَتها فشرب منها حتّى شرق، وانغمس فيها حتّى كاد يقال:غرق، فكلّما أُنشدت محاسن كلامه تنزّهت بغدادُ في نضرة نعيمها، واستنشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها[٣٠].

وقال ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م):

كان رحمه الله عالماً أديباً، وشاعراً مُفلِقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادراً على القريض، متصرِّفاً في فنونه، إن قصد الرِّقّة في النسيب أتى بالعجب العُجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يُشَقُّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعٌ أنفاسها على أثره، وكان مع هذا مترسِّلاً ذا كتابةٍ قويّةٍ، وكان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمّة، ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحدٍ صلةً ولا جائزةً حتّى إنّه ردَّ صِلات أبيه، وناهيك بذلك شرفَ نفسٍ[٣١].

وقال أبن خلكان شمس الدين أبو العباس (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) [٣٢].

كان نقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والأدب.

أما الذهبي، شمس الدين (ت،٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م) [٣٣] فقد قال: ديوان المرتضى كبير وتواليفه كثيرة، وكان صاحب فنون.

وذكره الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) [٣٤] فقال :

كان فاضلاً ماهراً أديباً متكلماً، له مصنفات جمة على مذهب الشيعة.

وعند يوسف بن يحيى الصنعاني (ت١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) هو:

فاضل، تزاحمت مناقبه، وغلبت في حلبة الفخار مناقبه، فهو يفتخر بغير الشعر كأبيه، وإنّما رقّ لعصابة الشعر ففصلها بلآلئ فكرته لكلّ نبيه، وما رضي في مواشاته بغير السبق، فأضحى رأس الصناعة ومن ينكر يُضرب على الفرق، فنظم ما هو أعبق من المنثور، وأبهى من العسجد في جيد اليعفور، معاني كمعاني الشعب طيباً، وكمنزلة الربيع من الزمان حبيباً، لا تمليها رتوت الشعر في إنشادها[٣٥].

ووصفه السيّد محسن الأمين (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م) فقال :كان أوحد علماء عصره، وقرأ على أجلاّء الأفاضل، فكان أديباً بارعاً متميّزاً، وفقيهاً متبحّراً، ومتكلّماً حاذقاً، ومفسّراً لكتاب اللّه وحديث رسوله محلقاً، وأخفت مكانة أخيه المرتضى العلميّة شيئاً من مكانته العلميّة، كما أخفت مكانته الشعرية شيئاً من مكانة أخيه المرتضى الشعرية[٣٦].

ولم تكن آراء المتأخرين فيه لتقل عما سبق قوله [٣٧] .

● **المبحث الثالث: مؤلفاته:**

طبعت بعض مؤلفاته ضمن مجموعات أخرى في الوقت الحاضر والكثير من الرسائل في المجموعات المطبوعة[٣٨]. وسنشير إلى بعض مؤلفاته والتعريف بها حيث بلغت١٢٣ مؤلفا[٣٩] وهي :

– الانتصار: كتاب في الفقه يتضمن ما انفرد به الإمامية من أحكام قطعا أو ظنا. ويشتمل على ٣١٩ مسألة فقهية[٤٠].

– الناصريات: يتضمن هذا الكتاب ٢٠٧ مسألة فقهية وعقائدية [٤١].

– الشافي في الإمامة: لقد ألّف السّيد هذا الكتاب كنقد لكتاب المغني من الحجاج تأليف العالم المعتزلي المعاصر له القاضي عبد الجبار[٤٢].

– إنقاذ البشر من الجبر والقدر [٤٣].

– تنزيه الأنبياء: وتدور مسائل الكتاب المختلفة حول النقطة المحورية وهي الخلاف بين الإمامية والمعتزلة في مسألة عصمة الأنبياء[٤٤].

– الأصول الاعتقادية: ألّفت هذه الرسالة الصغيرة للبحث عن صفات الله عز وجل. والنبوة، والإمامة، والبعثة، والوعد والوعيد، والشفاعة، وعذاب القبر، وفناء العالم، والميزان والصراط، والجنّة، والنّار [٤٥].

– مقدمة في الأصول: يبحث فيها السيد بإيجاز أصول عقائد الإمامية [٤٦].

– العدد أو الرّد على أصحاب العدد: يردّ السّيد في هذه الرسالة القول بأنّ الصوم يثبت بإكمال العدد (لثلاثين يوماً) ويعتبر الهلال معياراً للعمل.. [٤٧].

– ديوان المرتضى: تصل أشعار السيد المرتضى كما يظهر لدى بعض المؤرخين إلى عشرين ألف بيت، ويبدو من كتب التراجم أنّ الكثير من المؤلفين في العصور المختلفة كانوا قد حصلوا على نسخ من الديوان [٤٨].

– شرح قصيدة السيد الحميري: وهي قصيدة في مدح الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام[٤٩].

– الغرر والدرر وآمالي المرتضى.

– الذريعة إلى أصول الشريعة: يتناول الكتاب أصول فقه الشيعة الإمامية في أربعة عشر بابا [٥٠].

● **المبحث الرابع:**

إنّ المكانة العلمية للسيد المرتضى غنية عن البيان فهو دون شك من أكبر علماء الشيعة الإمامية ويظهر من مؤلفاته الكثيرة في العديد من علوم عصره كالكلام والفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإلهية والفلك وأقسام الأدب كاللغة والنحو والمعاني والإنشاء والشعر وأمثالها فهو أستاذ ماهر بل وحيد عصره. وكان قد انصبّ أكبر جهده على الفقه والكلام والأدب وقد خدم المذهب الإمامي من خلال هذا الطريق وأدّى إلى إستحكام آرائه الأصلية والفرعية.

ويقوم منهجه في الأصول على الدليل العقلي ومن هنا لا يختلف مع الأشاعرة فقط وإنّما مع أهل

الظاهـر مـن الإمامية. ولـم يعمـل في الفقه بخبر الواحـد وكان يسـتفيد في اسـتنباط الأحـكام من الأدلـة الأصولية اللفظية والعقليـة وهذا ما يميزه عن المحَدِّثين والإخباريين من الإمامية[٥١] إنّ السيد المرتضى فقيه الإماميـة ومتكلمهم ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد، وكتابه الشافي في الإمامة أوضح دليل على تعمّقه في علم الكلام والمناظرة في كلّ مذهب.

ورسـائله وكتبـه في الفقـه والأصول شـاهد على تسـلّطه. ويأتـي كتابـه الأمـالي في الأدب واللّغـة والتفسـير والتاريخ والتراجـم كبرهان ناصع على سـعته المعرفية في العلوم.[٥٢] يقول تلميذه الشيخ الطوسي [٥٣]:

هو متوحّد في علومٍ كثيرة، مجمَع على فضله، مقدمٌ في العلـوم مثل علم الـكلام والفقه وأصـول الفقه والأدب والنحو والشعر واللّغة وغير ذلك [٥٤].

ويقـول النجاشي: حاز من العلوم مـا لم يُدَانه أحد في زمانه، وسـمع من الحديث فأكثر وكان متكلمـاً شـاعراً أديبـاً عظيـمَ المنزلـة في العلم والديـن والدنيـا.[٥٥].

لقد كان السـيد المرتضى عماد الشـيعة ونقيب الطالبيـين في بغـداد وأمير الحـج والمظالم بعد أخيـه الرضيّ وكان ذلك منصب أبيهما من قبل. وكان يدفـع الرواتب لتلامذتـه حيث يدفع لأبي جعفـر الطـوسي اثني عـشر ديناراً في الشـهر، والقـاضي ابـن الـبراج ثمانيـة دنانـير. ويُعدّ الشـيخ المفيد أهم أساتذته ومع ذلك كان يروي عن بعض مشـايخ المفيد فهو يـروي كثيراً على سـبيل المثال عـن أبي عبد اللـه محمد عمر ابن المرزبانـي البغدادي (المتـوفى ٣٧٨هـ) حديث خطبـة الزهـراء عليها السـلام والتـي رواها في كتابه الشافي [٥٦].

وكان لـه بيتاً كبـيراً قد اتخذه مدرسـة يُدرّس فيها طـلاب الفقـه والـكلام والتفسـير واللّغة والشـعر والعلوم الأخرى كعلم الفلك والحساب وتجري فيهـا المناظرات. ولم تقتصر المدرسـة هـذه عـلى الطلبـة الشـيعة وإنّما كانـت تضم طلاب العلم من كل مذهب وفرقة [٥٧].

● **المبحث الخامس: ميوله ومعتقداته:**

كان الشريـف المرتـضى ميالا إلى الزهـد في الدنيا راغبـا عنها، ذامـا لها، داعيـا إلى الاعتبـار فيها، سـالكا سـبيل أجداده الكرام، مـن جعلها مجازا للآخرة ومـزادا لدار القرار لذا نجد ديوانه يفيض بالقصائـد في ذم الدنيـا والحـث عـلى الزهد فيها والاعتبـار بتقلـب أحوالها، وفنـاء نعيمها، ثم هو يصف مقابرها، ويرثـي مقبوريها، ويدعو كذلك إلى تكميـل النفس وتهذيبها، وغـرس مواد العزة فيهـا بنبذ الحرص، وترك الطمع، والتحلي بجمال العلم وخصال الخـير، فمن ذلك قوله في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها:

أفي كل يوم لي مني أستجدها وأسباب دنيا بالغرور أودها
ونفس تنزى ليتها في جوانح[٥٨] كان الشريف المرتـضى، يذهب في أصـول عقائده مذهب سـائر الشـيعة الإمامية من قولهم: بتوحيد الله عز وجل، وعدله وامتنـاع صدور الظلم منـه، وهم ينهجون بذلك منهج أغلب المعتزلة الذين يسـمون أنفسـهم بالعدلية أو أهل العـدل، ويقولون: بنفي الصفات الإلهيـة الزائـدة على الـذات، إذ يـرون أن صفاته

سـبحانه هي عـين ذاته، ويذهبون إلى أن تحسـين الشيء أو تقبيحه أمر عقلي أي يدرك بالعقل كعلمنا بحسـن الصدق النفع وقبح الكذب الضار وغيرهما مـن الأمـور البديهيـة، وإن كانت بعـض الأحكام التكليفية كالعبادات مثلا لا يمكن اسـتقلال العقل بالحكم فيها بالحسن أو القبح إلا عن طريق الشرع، فما ورد الشرع بحسنه أو قبحه أمر لا مجال للعقل في تحسـينه أو تقبيحه، فمرتبة العقـل بعد مرتبة الشرع بلا جدال[٥٩].

يـدل علم الشريف المرتضى بغريب اللغة على اطلاع واسع على لغة العرب بدراسة علومها ومعرفة لسانها في مختلـف ديارها ومواطنها، وقد كان الشـيخ عز الديـن أحمد بن مقبل [٦٠]. يقول: لو حلف إنسـان أن السـيد المرتضى كان أعلـم بالعربية من العرب لـم يكن عندي آثما، وكتابـه الأمالي المعروف بـــ « غرر الفوائد ودرر القلائد » يشـتمل على محاسن فنون تكلم فيها في النحو واللغة والشعر والتفسير والكلام وغير ذلك، حتى أن شيخا من شيوخ الأدب بمصر قال فيه: والله إني استفدت من كتاب الغرر مسـائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو[٦١].

كما كان له أشـعاره التي دلت على موهبته العالية في هذا الجانب[٦٢]، ولاسـيما قصائده في رثاء الإمام الحسين(ع)[٦٣].

● **المبحـث السـادس :**اثر الشريـف المرتضى في الحركة العلمية في بغداد:

يجمـع عدد من المؤرخين والأدبـاء والعلماء الذين عـاصروا المرتضى عـلى أن المرتـضى كان من ابرز علمـاء عـصره في الفقـه والأصـول وعلـم الكلام والعقائـد والتفسـير، وانه كان أديبا مـبرزا وناقد بصيرا بمعاني الشـعر وفنون البلاغة ورواية ثقة للشعر وإخبار العرب [٦٤] ويشيد بعظهم بمنزلته العلميـة فيعتـبره إمام عـصره في علـوم الشريعة واللغة والأدب في العراق.

يقـول ابـن بسـام الشـنتريني دالا عـلى مرجعية المرتـضى في المعارف السـابقة الذكـر: (وكان هذا الشريـف إمـام من أئمـة العـراق بـين الاختلاف والاتفاق، إليه فـزع علماؤها، وعنه اخذ عظماؤها، صاحب مدارسـها وجماع شـاردها وأنسـاها، من سـارت إخباره وعرفت إشعاره) [٦٥]ويتبعه في ذلك عبـد الملـك الثعالبي، فيـصرح بقوله «وقـد انتهت الرياسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف، والعلـم والأدب والفضل والكرم» [٦٦] بينما يصادق ابـن خلـكان عـلى ان المرتـضى «كان مجمعـا على فضله،وانـه توحد في علوم كثيرة، مثـل علم الكلام والفقـه وأصولـه والأدب والنحو والشـعر ومعاني الشـعر واللغـة وغيرهـا»[٦٧].وهكذا يؤيـد تفوق المرتضى في الحقـول العلمية والأدبية المذكورة كلها عدد من كبار المؤرخـين والمفكرين حتى من اولئك الذيـن خاصموه وتحاملوا عليـه لاختلافهم معه في بعض المسائل العقائدية [٦٨].

أمـا عند الشـيعة الإماميـة، فان المرتـضى يعد من أعاظـم المراجع في الفقه والأصـول كما يعد عندهم الرائد الأول في تبسيط فقه الإمامية وتوضيح أصوله ميـز بينهم وبين فرق الشـيعة الأخـرى كالزيدية والإسماعيلية وما تفرع منها أو إنحدر منها[٦٩].وهذا الاعتقاد مازال مصادقا عليه لدى علمائهم ومفكريهم حتى عصرنا الحاضر[٧٠].

يقـول ابـن حجـر العسـقلاني «أن المرتضى كان لايؤثـر عـلى العلـم شـيئا وانـه جعـل داره للعلم وقدرهـا للمناظـرة »[٧١]. وان المرتـضى كان لـه مجلس علمي يحضره الفيلسوف أبو العلاء المعري (ت،٤٤٩هـ/١٠٥٧م) وإمام النحو واللغة المشهور عثمان بن جني (ت،٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)[٧٢].

إن تلـك المناظـرات والمجالـس العلمية قـد بلورت شـخصية المرتضى وزادت من عطائـه العلمي وإذا أضيـف إلى عطائه الفكري انه كان شـغوفا باقتناء الكتـب وقراءتها وانـه كما يقـول صديقه القاضي التنوخي ويمتلك مكتبة ضخمـة نضم ثمانين إلف مجلد في مختلف العلوم والفنون[٧٣].

لقـد كان اهتمـام المرتـضى وتأثـيره العلمي على الحيـاة العلميـة والفكريـة في العـراق انـه كان يتعهد لطلابه وملازمي مدرسته ومجلسه العلمي بمكافـأة مالية جيدة، بل انه كان يتعهد لبعضهم بما يكفي من المئونة لمعيشـتهم وانه أوقف قريته الزراعيـة ومن أملاكه على قراطيـس الفقهاء[٧٤]. كما فتح مكتبته الخاصة لكافة طلابه مما سـاعد على زيادة الاهتمام العلمـي والثقـافي في العـراق.

ان جعـل المرتـضى مـن داره مجلسـا للمناظـرة ومدرسـة خاصة عائدة له يـصرف عليها من ماله الخاص مما شـجع الطلاب المعوزين إلى الانضمام إلى مدرسـته وحضور درسـه، وقد ذكر المؤرخون ان عدد من الطلاب الذيـن تتلمذوا على يد المرتضى وحضروا في مدرسته قد نبغوا بعد ذلك في التحصيل والـدرس [٧٥]. ويمكن ان يكـون للتلميذ مثل هؤلاء الطلبة وبالعدد الذي أشار إليه المؤرخون دلالات من أبرزها إن من شأن ذلك ان يدفع رجلا طموحا مثل المرتـضى إلى تكريس الوقت والجهد لفعالية فكرية وتحصيل مكثـف وبحث علمي وثقـافي متواصل، يعده لما تصدر له، ويجعل منه أستاذا قديرا متمكنا من العلوم والموضوعات التي يدرس ويباحث فيها ويتصدى لها، بنحو مواز لمقامه ومكانته الاجتماعية وسـمو تطلعاته. وقد اسـتطاع بالفعـل أن يخرج تلاميـذ أصبحوا فيما بعد نوابـغ أو إعلام عصرهم في العـراق، في الفقـه والأصول والعقائـد والكلام، مثل حمـزة بن عبد العزيز الديلمي الملقب بسـلار (ت، ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)، والقـاضي عبـد العزيز بن البراج (ت،٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) والقاضي محمد بن علي الكراجي (ت،٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) ومحمد بن الحسن الطوسي (ت، ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) وهو من أشهرهم واجلهم.

ولا شـك ان جانبا كبيرا من تكوين الرصيد العلمي والمعرفي الوافر لهـؤلاء العلماء وفي تنمية مهاراتهم وإعدادهـم وتوجيههم لما كرسـوا مـن اجله يعود لأستاذهم الشريف المرتضى، وفي ضوء ذلك ودلالاته الواضحة عـلى مكانته العلمية والثقافية من جانب وعلى نفوذه وقوة شخصيته من جانب أخر [٧٦].

*** هوامش البحث:**

(١) ينظـر ترجمتـه في المصـادر التاليـة: الثعالبـي، عبد الملك،النيسـابوري أبـو منصـور (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) يتيمـة الدهـر، شرح وتحقيـق: د. مفيد محمـد قمحية، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)ج٣، ص ١٥٥؛ النجاشي،أبـو العباس احمد بن على بن احمد الاسـدي الكوفي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) رجـال النجاشي، تحقيق: الحجة السـيد موسى الشـبيرى الزنجانـى النـاشر: مؤسسـة النشر الاسـلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، بلا) ص١٠٦٥؛ ١.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا)ج٣،ص٤٠.

(٢)آغا بزرك الطهراني محمد ابن محمد رضا محسن (ت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) طبقات أعلام الشيعة، (بيروت،بلا)ص١٢٠-١٢١.

(٣)كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ١٩٨

(٤) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت،٤٦٠هـ/ ١٠٥٠ م)، الفهرست، تصحيح: سيد محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الرضوية، (النجف، د.ت.) ص١٢٥؛ الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية (النجف الاشرف، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ص٤٨٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣١٣؛ ياقوت الحموي، ابن عبدالله الرومي (ت، ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الإرشاد (معجم الأدباء) دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا)، ج٥، ص١٧٣.

(٥)الشريف المرتضى،الانتصار،ص٩.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، ١٣٥٧هـ)ج٤، ص٢٢٣.

(٧)ابن الجوزي،المنتظم،ج٧،ص٢٢٦-٢٢٧

(٨) ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت، ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.قام بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني. منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية (النجف الاشرف، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ص ١٩٢.

(٩)الشريف المرتضى،الانتصار،ص١١-١٢.

(١٠) أبو الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي (القاهرة، ١٣٧٨ه/ ١٩٥٩م) ج١، ص٣٢-٣٣.

(١١)النجاشي،رجال النجاشي ص٢٧٠.

(١٢) الجعفري، سيد محمد مهدي، سيد رضي، (طهران،١٣٧٥هـ).ص٣١.

(١٣) ابن ميثم البحراني،(ت، ٦٧٩ هـ/١٣٧٧م) شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم المقدسة، ١٣٦٢ هـ)ج١، ص٨٩.

(١٤)القزويني، مهدي، (ت، ١٣٠٠ه/١٨٨٢م)، كتاب المزار،دار الرافدين،(بيروت، ٢٠٠٥م)،ص٢٥٢.

(١٥)القزويني،كتاب المزار،ص٢٥٤.

(١٦)عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، مطبعة المعارف(بغداد،١٩٥٧م)ص٧٨

(١٧)ديوان الشريف المرتضى، تحقيق، رشيد الصفار المحامي، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٥٨م) ج١، ص٢٧٩-٢٨٤، ج٢، ص٧-١٢، ج٣، ص٣١.

(١٨) الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، (طهران، ١٣٨٥هـ.)ص١٤٨.

(١٩) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،ج٢، ص٣٨٠

(٢٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١، ص٤١؛ الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي، (ت، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات الدار الإسلامية، الطبعة: الأولى (قم،١٩٩١)، ج٤، ص٢٩٥.

(٢١)ابن الجوزي،المنتظم،ج٧،ص١٥٣.

(٢٢) ديـوان الشريف المرتـضى، ج١، ص١١، ص١٠١.
(٢٣)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص١٣.
(٢٤)المصدر نفسـه،ص٥٧.
(٢٥)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٢٤.
(٢٦)الطـبرسي، أحمـد بن علي (ت،٥٤٨هـ/١١٥٣م) الاحتجاج، تصحيح السـيد محمد باقر الخرسان، مطابع النعمـان، (النجـف الاشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.)ج٢، ص٣٣٦.
(٢٧)يتيمـة الدهـر، ج٣،ص١٥٥.
(٢٨)الخضـارة: البحـر. الجوهري، أبو نصر إسـماعيل بن حمـاد (ت،: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) الصحـاح تاج اللغة وصحـاح العربية،تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار النـاشر: دار العلـم للملايـين الطبعـة: الرابعـة (بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧)ج٢،ص٢٠٨«خـضر».
(٢٩)رجلٌ عِزْهاةٌ، وعِزْهَاءَةٌ: لا يَطْـرَبُ لِلَّهوِ ويَبْعُدُ عنه. الجوهـري،الصحـاح،ج٦،ص١٤٣«عـزه».
(٣٠)الباخـرزي، دمية القـصر وعُصرة أهل العصر ج٧، ص٢٩٢.
(٣١)أبـن أبـي الحديـد،شرح نهـج البلاغـة ١:٣٣.
(٣٢)وفيـات الأعيـان،ج٣ص٣١٣.
(٣٣) الذهبي، سـير أعلام النبلاء ـ،ج١٧ ص٥٨٨.
(٣٤)الصفـدي، صلاح الدين خليل بـن أيبك بن عبد الله (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) الـوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرنـاؤوط وتركي مصطفـى، دار إحياء التراث (بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)،ج٦،ص٣٦٢.
(٣٥)الصنعاني. ضياء الدين يوسـف بن يحيى الحسني اليمني،. نسـمة السحر، تحقيق: كامل سليمان الجبوري النـاشر: دار المـؤرخ العربـي، الطبعـة: الأولى (بيروت، لبنـان ١٩٩٩.)ج٣،ص٥٢.
(٣٦)أعيان الشـيعة ج٩،ص ٢١٨.
(٣٧)الغدير في الكتاب والسـنة والأدب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعـات الطبعـة: الأولى (بـيروت،١٩٩٤) ج٤: ص،١٨١ ـ ١٨٢.
(٣٨)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٤٨-٥٧.
(٣٩)الطـوسي، الفهرسـت، ص١٥٧؛ الخوانسـاري، روضات الجنـات، ج٤، ص٢٤؛ الـزر كلي، الإعلام، ج٧، ص٢٤٥.
(٤٠)الكرجـي،تاريـخ فقـه وفقهـا،ص١٥٩-١٦٠.
(٤١)المصدر نفسـه، ص١٦٠.
(٤٢)المصدر نفسـه، ص١٦١-١٦٢.
(٤٣)المصدر نفسـه، ص ١٦٢.
(٤٤)الكرجـي،تاريـخ فقـه وفقهـا،ص١٦٢-١٦٣.
(٤٥)المصدر نفسـه، ص ١٦٣.
(٤٦)المصدر نفسـه،، ص ١٦٨.
(٤٧)المصدر نفسـه، ص ١٦٨-١٦٩.
(٤٨)المصدر نفسـه،، ص ١٧٠.
(٤٩)المصدر نفسـه، ص١٧٠.
(٥٠)الكرجـي،تاريـخ فقـه وفقهـا،ص١٧٢-١٧٣.
(٥١)المصدر نفسـه، ص ١٤٩-١٤٨.
(٥٢)الكرجي، تاريـخ فقـه و فقهـاء، ص ١٤٩-١٤٨.
(٥٣)الشريـف المرتـضي،الانتصـار،ص٧-٨.
(٥٤)الطوسي، محمد بن الحسـن، الفهرسـت، ص ٩٩.
(٥٥)النجـاشي،رجـال النجـاشي،ص ٢٧٠.
(٥٦)أغـا بزرك الطهرانـي، طبقات أعلام الشـيعة، ص ١٢٠-١٢١
(٥٧)الشريـف مرتـضى،الانتصـار،ص٢٢.
(٥٨)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٢٠
(٥٩)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٢٥

(٦٠)الخونساري،روضات الجنات ص ٣٨٥.

(٦١) الخونساري، روضات الجنات ص ٣٨٥.

(٦٢)الأميني، عبد الحسين،الغدير،ج ٤، ص،٢٦٣-٢٦٤.

(٦٣) المرجع نفسه،ج ٤،ص ٢٩٠-٢٩١.

(٦٤) ينظر، الباخرزي، علي بن الحسن (ت: ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م)، دمية القصر، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف (بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)ص٢٩؛ ياقوت الحموي الإرشاد (معجم الأدباء) ج٥، ص١٧٣؛ ابن الفوطي، كمال الدين (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)، تلخيص مجمع الآداب في مجمع الألقاب، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية (دمشق،١٩٦٢م) ج٤، ق١، ص٦٠٠؛ السيوطي، جلال الدين (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م)ج٢، ص١٦٢؛الخونساري، روضات الجنات،ج٤،ص٢٩٥.

(٦٥) الشنتريني، علي بن بسام،(ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ق٤، ص٤٦٥.

(٦٦)الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١،ص٥٣.

(٦٧)ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج٥،ص١٧٣

(٦٨)ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، ج٢، ص٥٣؛ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص٢٥٦.

(٦٩) العسقلاني، احمد بن علي، (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) لسان الميزان، مؤسسة الاعلمي (بيروت، ١٣٩٠ه/ ١٩٧١م)ج٤، ص٢٨٩؛ عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء ج٤، ص٦١.

(٧٠)عباس القمي، الكنى والألقاب، ج٢، ص٤٨٠؛مصطفى جواد، مقدمة ديوان الشريف المرتضى، ج١، ص١٩؛عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى،ص٥٧-٥٩

(٧١) ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ص٢٢٣ .

(٧٢)محي الدين،أدب المرتضى،ص١٢٢.

(٧٣) عبد الله أفندي الاصبهاني، رياض العلماء،ج٤، ص٢١.

(٧٤)الخونساري، روضات الجنات، ج٤، ص.٢٩٦

(٧٥)الطوسي، الفهرست، ص؛ الخونساري، روضات الجنات، ج٤، ص.٢٩٩-٣٠٠؛ عبد الله أفندي الاصبهاني،رياض العلماء،ج٤،ص١٦-١٧

(٧٦)محي الدين،أدب المرتضى،ص١٥٠.

AL-Sharif AL-Murtadaa

His biography and his effect

on the scientific movement in Baghdad

By: Rasha Isaa Faris

Abstract

The world speaking poet and literary authors of the era is almost unanimous praise for the mentioned and was enjoyed by the Jalal personal multiplicity of talent and fame, and loudness place between scientists of his era writers of his era to have the text of many of them that it was a Muslim imams in the jurisprudence, and the interpretation, theology, the most prominent of nabgh in Arab science, literature and poetry and novel criticism of Arab news and reminded many of his writings in these areas, as noted in the Divan of poetry as contained the product of the rich, the research aims to study the biography of al-Sharif El-murtadha and its impact in the scientific movement in Baghdad, the search contains five detectives, the first containing biography ii its inception scientific and ANESTHESIOLOGY III: Scientific stature and tells us that the fourth: tendencies and beliefs, and poems and tells us that the v :After Al Sharif El-murrada on scientific movement in Baghdad and then the conclusion and sources and references.

Conclusion included the following points:

1-The stages of the life of El-murrada and passed by this personal developments reflect the elements involved in the construction of the personality and reflect the dimension of the family is an incentive to practice intellectual activities were outstanding.

2-Demonstrated his writings on a wide variety of experience and breadth of knowledge and ه is not in Islamic sciences and beliefs but to in poetry and literature also.

3-Had a significant impact on the revitalization of the scientific and intellectual movement in Iraq through his debates scientific councils and that came out of many scholars and writers.